

الباب الرابع

محبة النبي ﷺ

حقيقة المحبة، دلائل المحبة

## حقيقة المحبة

تمهيد:

إن الحديث عن محبة النبي ﷺ نعمة ومرتعة عظيمة فالألسنة تترطب بالصلاة عليه والآذان تتشرف بسماع هديه وسيرته، والقلوب تطيب لشوقه، والعقول تخضع لما ثبت عنه والجوارح والأعضاء تنتفع وتمتع بموافقة هديه وحاله وفعله ﷺ.

ألا يا محب المصطفى زد صبابة وضمخ لسان الذكر منك بطيبه  
ولا تعبأن بالمبطلين فإنهما علامة حب الله حب حبيبه  
ذكر ابن رجب الحنبلي رحمه الله أن محبة الرسول ﷺ على درجتين:

أولهما: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به النبي ﷺ من عند الله، وتلقيه بالمحبة والرضا والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حُسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ﷻ، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتها عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ﷺ، وتحقيق الاقتداء بسنته، وأخلاقه، وآدابه، ونوافله، وتطوعاته، وأكله وشربه، ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١) راجع «استشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» لابن رجب الحنبلي ص ٣٤، ٣٥.

وقال ابن القيم: «المحبة لا تُمد (أي: ليس لها تعريف) إذ هي أمر ينبعث  
بالنفس يصعب التعبير عنه».

### أقسام المحبة:

أولاً: محبة الاستلذاذ بالاستدراك: كحب الصور الجميلة والمناظر والأطعمة  
والأشربة، وتلك محبة فطرية.

ثانياً: محبة الإدراك بالعقل: وهي محبة معنوية وهي التي تكون لمحبة الخصال  
الشريفة، والأخلاق الفاضلة والمواقف الحسنة.

ثالثاً: محبة من أحسن إليك وقدم إليك معروفاً: وتنبعث المحبة حينئذ لتكون  
ضرباً من ضروب الحمد والشكر، فينبعث الثناء بعد ذلك ترجمة لها وتوضيحاً  
لمعانيها.

قال الإمام النووي - رحمه الله - معلقاً على تقسيم ابن القيم للمحبة: «وهذه  
المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ، لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال  
خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين، بهدايته إياهم إلى  
الصراط المستقيم، ودوام النعم، والإبعاد من الجحيم، وقد أشار بعضهم إلى أن  
هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢ / ١٤).

فإن نظرت إلى وصف هيئة النبي ﷺ، فَجَمَّالٌ ما بعده جمال، وإن نظرت إلى أخلاقه وخلاله ﷺ، فكمال ما بعده كمال، وإن نظرت إلى إحسانه وفضله على الناس جميعًا وعلى المسلمين خصوصًا فوفاء ما بعده وفاء، فمن هنا تعظم محبته. ويستولي في المحبة على كل صورها وأعظم مراتبها وأعلى درجاتها، فهو الحري بأن تنبعث محبة القلوب والنفوس له في كل لحظة وفي كل تقلبات حياتنا ولذلك ينبغي أن ندرك عظمة هذه المحبة.

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- عن بعض العلماء قولهم: «محبته الله ﷻ على قسمين: فرض وندب، فالفرض: المحبة التي تبعث على امثال أو امره والانتهاه عن معاصيه والرضا بما يُقدِّره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدَّم هوى نفسه، والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع.

وكذلك محبة الرسول ﷺ على قسمين كما تقدم، ويزداد: ألا يتلقى شيئًا من المأمور والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجًا مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها»<sup>(١)</sup>.

(١) راجع «فتح الباري» لابن حجر (١/٦١).

أين الذين بنار حـبـك أرسلوا  
سكـبوا اللـيالـي في أنـين دـمـوعـهم  
كـيف انطـوت أيامـهم وهم الألى  
هـجـروا الديار فأين أزمع ركبهم  
يا قلب حـسـبـك لن تـلم بطـيـفـهم  
قـوم إذا هـيجـوا كـانوا ضـراعـمة  
كـأنما الشـرع جـزء من نفوسهم  
الأنوار بين محافل العشاق  
وتوضتوا بهد امع الأشواق  
الأنوار بين محافل العشاق  
من يهتدي للقوم أو من يقتدي  
إلا على مصباح وجه محمد  
وإن هم قسموا أرضوك بالقسم  
فإن هم وعدوا استغنوا عن القسم

### تحقيق محبة النبي ﷺ:

إن الأمر بمحبة النبي ﷺ يعني أن ذلك عبادة لله ﷻ وقربة إليه ﷻ، والعبادة التي أرادها الله ﷻ، ويرضاها من العبد هي ما ابتغي به وجهه ﷻ، وكان على الصفة التي شرعها في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ.

فأما الإخلاص في الأعمال وابتغاء وجه الله ﷻ فيها فهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، لأن معناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

وأما متابعة النبي ﷺ وطاعته فهي مقتضى الشهادة بأن محمداً رسول الله، ولازم من لوازمها، إذ معنى الشهادة له بأنه رسول الله حقاً: «طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى وزجر، وألاً يعبد الله إلا بما شرع»<sup>(١)</sup>.

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

(١) راجع «مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (١ / ١٩٠).

ولقد قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال القاضي عياض في شرح الآية: «فكفى بهذا حُصًا وتنبهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقها لها ﷺ، إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ ثم فسَّتهم بتام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله»<sup>(١)</sup>.

وقال الله ﷻ: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الاحزاب: ٦].

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾»<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷻ: «أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع «الشفاء بتعريف أحوال المصطفى» (١٨ / ٢).

(٢) أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» حديث (٤٥٠٣) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه مسلم كتاب «الجمعة» باب «تخفيف الصلاة والخطبة» حديث (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها.

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(١)</sup> وقال أيضًا: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»<sup>(٢)</sup> وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ! لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(٣)</sup> قال ابن حجر: «أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب»<sup>(٤)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»<sup>(٥)</sup>.

وقال الدكتور محمد عبد الله دراز في شرح هذا الحديث: «ومحبة الله ورسوله هي أرقى أنواع هذه المحبة العقلية وأقواها، فمن كان باعث المحبة عنده معرفة

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حب الرسول من الإيمان» حديث (١٥)، ومسلم كتاب

«الإيمان» باب «وجوب محبة النبي ﷺ» حديث (٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حب الرسول من الإيمان» حديث (١٤).

(3) أخرجه البخاري كتاب «الإيمان والنذور» باب «كيف كان يمين النبي ﷺ» حديث (٦٢٥٧).

(4) راجع «فتح الباري» (٥٢٨/١١).

(5) متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب «الإيمان» باب «حلاوة الإيمان» حديث (١٦)، ومسلم كتاب «الإيمان»

باب «بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان» حديث (٤٣).

ما في المحبوب من كمال ذاتي، فالله تعالى أحق بمحبته، إذ الكمال خاصة ذاته، والجمال الأتم ليس إلا لصفاته، والرسول الكريم ﷺ أحق من يتلوه في تلك المحبة، لأنه أكرم الخلق عند ربه، وهو ذو الخلق العظيم والهدي القويم، ومن كانت محبته للغير تقاس بمقاس ما يوصله إليه ذلك من غيره من المنافع وما يغدق عليه من الخيرات، فالله تعالى أحق بهذه المحبة أيضاً، وإن نعمه علينا تجري مع الأنفس ودقات القلوب ولا نعمة إلا هو مصدرها، ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَعِنَ اللَّهِ تُمْناً إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَالِيهِ تَجْرُونَ ﴾ [التك: ٥٣]، ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التك: ١٨]، وهذا الرسول الكريم الرؤوف الرحيم هو واسطة النعمة العظمى، إذ هو الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، واستنقذنا به من النار بعد أن كنا على شفا حفرة منها، فليس بعد الله أحد آمنٌ علينا منه، ومحبته الحقيقية شعبة من محبة الله<sup>(١)</sup>.

### تعظيم النبي ﷺ:

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُحْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [التك: ٨-٩].

(١) راجع «المختار من كنوز السنة» ص ٣٤٤.

فذكر الله ﷻ: حقًا مشتركًا بينه وبين رسوله ﷺ وهو الإيمان، وحقًا خاصًا به ﷻ وهو التسبيح، وحقًا خاصًا بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير، وحاصل ما قيل في معناهما أن: «التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشریف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج به عن حد الوقار»<sup>(١)</sup> وهذه المعاني هي المراد بلفظ التعظيم عند إطلاقه، فإن معناه في اللغة: التسجيل، يقال: «لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها»<sup>(٢)</sup>، ولفظ التعظيم وإن لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من «التعزير والتوقير»<sup>(٣)</sup>.

و«التعظيم أعلى منزلة من المحبة؛ لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظّمًا، كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه، بخلاف محبة الولد لأبيه، فإنها تدعوه إلى تعظيمه»<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) راجع «الصارم المسلول» لابن تيمية (٣/ ٨٠٣).  
 (٢) راجع «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٤١٠).  
 (٣) لمزيد من التفاصيل انظر: «حقوق النبي على أمته» د. محمد التميمي، ملف وورد على الشبكة العنكبوتية.  
 (٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٩٣).

وهذه تمام المحبة، وكمال التعظيم، وغاية التوقير. وأيُّ تعظيم أو محبة للنبي ﷺ لدى من شك في خبره، أو استنكف عن طاعته، أو ارتكب مخالفته، أو ابتدع في دينه وعبد الله من غير طريقه؟!

ولذا اشتد نكير الله ﷻ على من سلكوا في العبادة سبيلاً لم يشرعها، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [النُّور: ٢١].  
وقال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»<sup>(١)</sup>، أي: مردود عليه.

فإذا كانت المحبة والتعظيم عبادة، فإن العبادة محلها القلب واللسان والجوارح ويتحقق تعظيم النبي ﷺ بالقلب بتقديم محبته على النفس والوالد والولد والناس أجمعين؛ إذ لا يتم الإيمان إلا بذلك، ثم إنه لا توقير ولا تعظيم بلا محبة وإنما يزرع هذه المحبة معرفته لقدره ومحاسنه ﷺ.

وإذا استقرت تلك المحبة الصادقة في القلب كان لها لوازم هي في حقيقتها مظاهر للتعظيم ودلائل عليه، تظهر على اللسان والجوارح.

وسرى منزلة النبي ﷺ عند المصطفين من هذه الأمة ﷺ من خلال أمثلة تنطق بالتعظيم وتشهد بالمحبة حال الصحابة ﷺ في محبتهم للنبي ﷺ وتعظيمهم له في حياته: نال الصحابة رضي الله عنهم، أجمعين شرف لقاء النبي ﷺ، فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه ﷺ، مما سبقوا به غيرهم، ولم ولن يدركهم من بعدهم.

(١) أخرجه مسلم كتاب «الأقضية» باب «نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور» حديث (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فقد سئل علي بن أبي طالب عليه السلام: «كَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: كَانَ وَاللَّهِ! أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، وَأَوْلَادِنَا، وَأَبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمِّ»<sup>(١)</sup>، وسأل أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وهو على الشرك حينذاك زيد بن الدثنة رضي الله عنه حينما أخرجهم أهل مكة من الحرم ليقتلوه وقد كان أسيرًا عندهم: «نَشَدْتِكَ بِاللَّهِ! يَا زَيْدُ: أَمْحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ بِمَكَانِكَ يُضْرَبُ عُنُقُهُ، وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ! مَا أَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا الْآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مُحَمَّدًا»<sup>(٢)</sup>.

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وآله يوم بدر: «يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشدَّ حبًّا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصرونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله خيرًا، ودعا له بخير»<sup>(٣)</sup> وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لما كان يوم

(١) انظر: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٢٢).

(٢) راجع «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١١٨٢-١١٨٣).

(٣) راجع «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٢٦٨).

أحد حاص أهل المدينة حَيْصَة، قالوا: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متَحَرِّمَةً، فاستقبلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها<sup>(١)</sup>، لا أدري أيهم استقبلت به أولاً، فلما مرت على أحدهم قالت: مَنْ هذا؟ قالوا: أبوك، أخوك، زوجك، ابنك! تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك، حتى دُفِعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذ سلمت من عطب<sup>(٢)</sup>، وفي رواية قالت: «كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ»<sup>(٣)</sup> أي: يسيرة وهينة ولقد حكّم الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ في أنفسهم وأموالهم، ومن هذا ما ورد عن سعد بن عبادَةَ في غزوة بدر من حديث أنس ﷺ قال: «فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّاْنَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَ بِهَا الْبَحْرَ لَأَخْضَتْنَاهَا! وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرِّكَ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا، قَالَ: فَتَدَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بِدْرًا»<sup>(٤)</sup> وهذا أصدق تعبير عن المحبة كما كان شأنهم في تعظيمه وتوقيره

(١) أي: أخبرت بمقتلهم.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٨٠) برقم (٧٤٩٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٥)،

وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقيه رجاله ثقات».

(٣) راجع «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٠/ ٥٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه مسلم كتاب «الجهاد والسير» باب «غزوة بدر» حديث (١٧٧٩).

ﷺ أوضح وأظهر من أن يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: «أَيُّ قَوْمٍ! وَاللَّهِ! لَقَدْ وَقَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَقَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ! إِنْ رَأَيْتَ مَلِكًا قَطُّ يُعَظَّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظَّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ! إِنْ تَنَحَّيْنَا نَحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد تتعجب أيها القارئ لهذا الحديث النبوي لما يحويه من معان حتى تحدثك نفسك بشئ من الريب، ولكن عليك أن تسلم بصحة هذا الحديث، وأبلغ دليل على صحته هو ما يكون من أمر الأم التي تحب ولدها كيف تأكل الطعام الذي يخرج من فمه، كذلك الزوج الذي يلحق ريق امرأته من شدة محبته لها. وقد وُصف الصحابة حال جلوسهم واستماعهم للنبي ﷺ بوصف عجيب جاء في أحاديث عدة، منها قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رءُوسِهِمُ الطَّيْرَ»<sup>(٢)</sup>.

(1) أخرجه البخاري كتاب «الشروط» باب «الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب» حديث (٢٥٨١)، قوله: «إن» معناها: «ما» النافية، أي: ما رأيت.  
(2) أخرجه البخاري كتاب «الجهاد والسير» باب «فضل النفقة في سبيل الله» حديث (٢٦٨٧).

وقال عمرو بن العاص ﷺ: «وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجَلَّ في عيني منه، وما كنت أُطيقُ أنْ أَمْلأَ عينيَّ منه إجلالاً له، ولو سئلتُ أنْ أَصِفَهُ ما أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لم أَكُنْ أَمْلأُ عينيَّ»<sup>(١)</sup>، ولما زار أبو سفيان ابنته أم حبيبة -رضي الله عنهما- في المدينة، ودخل عليها بيتها، ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني؟ فقالت: «هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجس، فلم أحب أن تجلس على فراشه»<sup>(٢)</sup>، ومن شدة حرص الصحابة على إكرامه وتجنب إيذائه قول أنس بن مالك ﷺ: «أَنَّ أَبْوَابَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تُقْرَعُ بِالْأَظْفِيرِ»<sup>(٣)</sup>، ولما نزل قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير: «ما كان عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ»<sup>(٤)</sup>.

- (١) أخرجه مسلم كتاب «الإيمان» باب «كون يهدم الإسلام ما قبله وكذا الهجرة والحج» حديث (١٢١).
- (٢) راجع «البداية والنهاية» لابن كثير (٤ / ٢٨٠)، و«الإصابة» لابن حجر (٧ / ٦٥٣).
- (٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١ / ٣٧١) برقم (١٠٨٠) من حديث أنس ﷺ، والبيهقي في الشعب (٢ / ٢٠٠) برقم (٣٠ / ١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١ / ٤٢٩) برقم (٤٤٤).
- (٤) أخرجه البخاري كتاب «التفسير» باب «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» حديث (٤٥٦٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ؛ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مُنْكَسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ الْمُرَّةَ الْأَخْرَةَ بِبِشَارَةِ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري كتاب «المناقب» باب «علامات النبوة في الإسلام» حديث (٣٤١٧).